لقد كان المسلمون ينظرون فى كل شئ، ويبحثون فى كل فج، ويستفيدون بكل حديث وقديم، وينقبون عن كل علم، ويسيرون وراء كل حكمة، ويأخذون العبوة من الماضى، وينطلقون للمستقبل، يستفيدون من القديم، ويبنون الجديد. وكانت لهم جولات وجولات فى كل ناحية من نواحى الحياة، فى العلم، و فى الحكمة،وفى الأخلاق، وفى الفلسفة، وفى الطب، وفى الهندسة، وفى الجغرافيا،وفى الفلك، وفى الصناعة ،وفى الكيمياء، وفى الصيدلة، وفى الزراعة، وفى التاريخ، وفى القصص، وفى اللغة، وفى الحيوان، وفى الفيزياء، وفى الأحجار ، وفى البحار، والمعادن.[٥٣]

ولم يدخر المسلمون جهداً فى البحث عن تراث الأمم السابقة. واضطلع المسلمون رغم ماعانوه من جهد بالتعرف على الثقافة اليونانية القديمة، والفارسية، والهندية، وغيرها من الثقافات التى نما إلى علمهم أنها موجودة فى أى صقع أو قطر.[٥٤]

لقد امتصت العقلية الإسلامية الغذاء الذى قدمه ميراث العالم القديم بعد أن أصبح متوافراً باللغة العربية. فأدى ذلك إلى قيام مدارس الفلسفة ، والعلوم، والفنون المختلفة، والتى سيطرت على أفق الحضارة الإسلامية نتيجة لتطبيق مبادئ الإسلام على أشكال المعرفة المختلفة، التى ورثها المسلمون عن الشعوب، ذات الحضارات العريقة.[٥٥]

لقاء الإسلام بالحضارة الفارسية :

وليس هناك شك فى أن الفتح الإسلامى للإمبراطورية الفارسية، ودخول الفرس بحواريثهم الحضارية الغنية- فى إطار الدولة الإسلامية.قد أتاح أوسع الفرص لتفاعل حضارى واسع، وعميق وخلاق بين الحضارة الفارسية وبين الفكر الإسلامى.[٥٦]

٥٣- انظر : الدكتور توفيق الواعى ، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، ص ٣٨٩.

٥٤- المصدر السابق،ص. ٣٩٠.

٥٥- انظر : الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا، أصالة الفكر العربي،ص ٢٢١.

٥٦- الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة،ص ٢٠٦.

لكن الراصد لهذا التفاعل بين الفكر الإسلامى، ابان تبلور حضارته، وبين الميراث الفارسى. يستطيع أن يميز بين ما «قبل» وبين « رفض» من هذا الميراث.

لقد فتحت فارس على عهد الخليفة عمر بن الخطاب. وكذلك فتحت الأودية الزراعية للأنهار الكبرى فى الدولة الإسلامية: النيل، وبردى، ودجلة، والفرات. ولم يتردد عمر بن الخطاب فى تبنى النظام الفارسى فى ضريبة الأرض الزراعية كان يسمى« وضائع كسرى» وظل سائدا ومعمولا به حتى عدل فى ظل الدولة العباسية.

فأنت ترى أنه فى عهد عمر بن الخطاب، تم استلهام خبرة وتجربة حضارية فارسية، فى طرق تقدير الضريبة على الأرض الزراعية. ولكن المسلمين الناشرين للإسلام، فى فارس كانوا حذرين كل الحذر وشديدى الرفض والمقارمة لكل ماهو «خصوصيية حضارية» فارسية، تتعارض مع معايير الإسلام، وجوهر معتقداته، وخصائصه الحضارية المتميزة.

لقد رفضت الخلافة الإسلامية- وهى نمط متميز فى الحكم-ماقيزت به مواريث الحضارة الفارسية فى نظام الحكم وفلسفته السياسية التى كانت ترى رأس الدولة« كسرى» إبناً للإله « هورا- مزدا » يحكم باسمه، ونيابة عنه زاعما أن لقانونه وتنفيذه قداسة الإله والدين.[٥٧]

كذلك رفضت الحضارة الإسلامية، ميراث الفرس فى النظام الطبقى المغلق. لتعارضه الجذرى مع فلسفة الإسلام، فى المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات.

والذين يقرأون مصنفات علماء الإسلام فى الملل والنحل. وصراعهم الفكرى مع الفرق والمذاهب غير الإسلامية، يدركون المقاومة الباسلة، التى ووجهت بها مذاهب الفرس وعقائدهم وفلسفاتهم.[٥٨]

٥٧- انظر الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة،ص٢٠٧ ، ٢٠٨.

٥٨- المصدر السابق،ص٢٠٨.

فعلى حين فتحت الأبواب للتجارب الإنسانية العملية، ولعلوم التمدن العملى، كان الحذر بل والمقارمة للفلسفات والمعتقدات المخالفة للمعايير الإسلامية، إن فى السياسة أو فى الاجتماع أو فى الدين.[٥٩]

لقاء الإسلام بحضارة الشام، ومصر، وبلاد الشمال الإفريقى:

لقد أخذ المسلمون ينشرون الإسلام خارج الجزيرة العربية بين الشعوب التى كانت تنتظر الإسلام. ونشأت الحضارة الإسلامية فى كنف القرآن الكريم، والسنة النبوية. وكانت الأمم الداخلة فى الإسلام ذات حضارات مزدهرة، فنشأ بين حضاراتها والإسلام مزج وتفاعل ولقاء. وبدت أعظم مظاهر هذا المزج فى النظم الاجتماعية، والآراء العقلية. واشترك الدعاة إلى الإسلام بأهل البلاد التى فتحت صدوها للإسلام فى الحركة الاجتماعية والاقتصادية وبهذا كله امتزجت أمور أخرى كثيرة. وتأثرت بهذا الامتزاج كل مرافق الحياة والنظم السياسية والاجتماعية والطبائع العقلية. وكانت الأمم المفتوحة للإسلام أرقى من العرب مدنية . ولهذا أسهمت فى نشأة الحضارة الإسلامية. وحضارة مصر والشام والشمال الإفريقى، كانت ذات ميراث بيزنطى. استفادت منها حضارة الإسلام فى « تدوين الدواوين» وهو خبرة إدارية بيزنطية.

ويخبرنا التاريخ: أن الأمير خالد بن يزيد بن معاوية، سعى إلى مدرسة الاسكندرية يتعرف على مافيها من تراث.

وقد كتب إلى أبيه معاوية، يبشره بنجاح سعيه وبلوغ ما أراد. فكتب قصيدة أرسلها إلى أبيه فى هذا الشأن يقول فيها:

أيا راكباً نحو الشام عشية .. يؤم دمشقاً قف فحمل كتابيا

وبلغ يزيد حين يتلو رسالتى .. وقل خالداً قد نال ماكان راجيا.

ألا قد ملكت الشمس والبدر عنوة .. وحزتها من بعد طول عنائيا

٥٩- المصدر السابق، ص ٢٠٩.

وخالد بن يزيد يقصد بالشمس الذهب، وبالبدر الفضة. وكانت صناعة الكيميا، آنئذ قائمة على أساس تحويل المعادن الخسيسة إلى الفضة والذهب.[٦٠]

وبهذا بدأت حركة الترجمة للعلوم الطبيعية والتجريبية، وفنون التمدن العلمي. والتى سميت بعلوم الصنعة.

واذا كانت الحضارة الإسلامية تفاعلت مع حضارة مصر والشام، وتبنت مافى هذه المجتمعات من المعارف والعلوم والتجارب الإنسانية. فإنها فى الوقت نفسه حاربت« الغنوصية» والهلينية فى الفلسفة، وعارضت عقائد ومذاهب المسيحية التى أخرجتها الروح الهلينية، عن نقاء عقيدة التوحيد.

لقاء الإسلام بالحضارة الهندية:

الهند قارة تسكنها مجموعة شعوب ، مختلفة الأجناس، والمذاهب الدينية، والفكرية، والاجتماعية. وجهود الهند فى التعليم قديمة جداً. وأكثر نتاج الهند الفكرى،كتب باللغة السنسكريتية. وهى معروفة الأصول مما ساعد على معرفة جميع نواحى الثقافة الهندية.

والباحث فى الحضارة الهندية سوف يجد أن الهنود أسهموا فى جميع العلوم القديمة. وأشهر علوم الهنود:

- الفلك والرياضيات. وأ قدم الرسائل الفلكية هى كتاب « السد هانتا » حوالى ٤٢٥.م. ثم أبحاث « أريابهاتا » أعظم الفلكيين والرياضيين الهنود. الذى علل الكسوف والخسوف فى حركة الأرض حول الشمس. أى قال بدوران الأرض حول

٦٠- انظر الدكتور أحمد السايح، أضواء على الحضارة الإسلامية،ص ٨١ ، ط. دار اللواء، الرياض، ١٤٠١ هـ.

الشمس ، وشرح كروية الارض فى دورتها الحيو ية حول محورها .كما عرف هذا الرياضى النظام العشرى.

- الفيزياء والكيمياء: وجدت فى الهند مذاهب فيزيئية مختلفة. وقال بعضهم: إن الضوء والحرارة ظاهرتان مختلفتان لعنصر واحد، وأن الشمس مصدر الحرارة فى العالم. وفسر آخر الضوء بأنه مؤلف من ذرات صغيرة تنبعث من الأشياء وتطرق العين. أما الكيمياء فتقدمت مع تقدم الطب الهندى والصناعة الهندية. وكان الرومان ينظرون إلى الهند، كأمهر أمة فى الصناعات الكيميائية مثل الصباغة، والدباغة ، والصابون، والزجاج، ونوع من الأسمنت.

- الطب وأشهر ماشتهر به الهنود الطب. كان أطباء الهنود منذ القرن السادس قبل الميلاد، ويعرفون الأوعية الدموية، والانسجة الدهنية، والضفائر العصبية، والجهاز اللمفاوى، وأنواع العضلات وحركاتها، ويعرفون تجبير العظام، ويفهمون عملية الهضم، وتطور الجنين، ويشرعون فى ضرورة فحص الزوجين قبل الزواج.[٦١]

ولا شك أن تفاعلا حضارياً فى مختلف العلوم والفنون، قد أخذ دورة فى محيط الحضارة الإسلامية من واقع تأثرات التمازج والمخالطة. فعرف المسلمون من الرياضيات الهندية. كتاب« السدهانتا » السند هند[٦٢] .وفى أيام أبو جعفر المنصور، قدم كثير من علماء الهند. ،كان معهم « السد هانتا »السند هند باللغة السنسكريتيةوقد كلف أبو جعفر العلامة أبا إسحاق بن حبيب الفزارى بتعريبه.ففعل . وقام الخوارزمى بتصحيحه ومراجعته[٦٣]والمسلمون استفادوا من الأرقام عند الهنود. فهذبوها وكونوا منها سلسلتين عرفت احداهما بالأرقام الهندية.وعرفت الثانية باسم الأرقام الغبارية.[٦٤]

٦١- أنور الرفاعى، الاسلام فى حضارته ونظمه،ص ٥١١ ـ ٥١٢ ،ط. دار الفكر ١٣٩٣ه.

٦٢- الدكتور مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية ،ص ١٣٠ ،ط دار العلم للملايين، بيروت.

٦٣- فيليب طرزى، خزائن الكتب العربية فى الخافقين، جـ١ ص ٥٠ ،ط بيروت.

٦٤- الدكتور أحمد السباح، أضواء على الحضارة الإسلامية،ص٩٤ ،ط.دار اللواء بالرياض ١٤٠١ه.

فعندنا التقى الإسلام بمواريث الحضارة الهندية ،أخذ ما يتناسب معه ، وترك ما لا يتفق مع مباديء الاسلام ، مما هو خصوصية حضارية . فالبيروني ٣٦٢- ٤٤٠هـ - ٩٧٣ -١٠٤٨ م الذي نهض بمهام واعباء البعثة العلمية عندما عاش بالهند اربعين عاما عقب الفتح الغزنوي لبعض اقاليمها والذي درس تاريخ الهند وتراثها وحضارتها دراسة العبقرى المتفرد ..البيروني هذا يعلمنا ان اسلافنا ، ميزوا بين العلوم الطبيعية ،والعملية، والتجريبية التى أخذوها وطوروها. وبين ديانات الهند ومذاهبها وفلسفاتها. التى رفضوها. لتعارضها مع التوحيد الإسلامى، ومع إلهية المصدر الدينى فى الاسلام.(٦٥)

لقاء الإسلام بالحضارة اليونانية:

يكاد يكون معروفاً أنه: ليس فى الحضارات القديمة حضارة، تثير الدهشة والاعجاب. كالحضارة اليونانية لأن هذه الحضارة، جمعت آثار الحضارات البابلية، والمصرية، والفينيقية، والفارسية، ثم أضافت إليها آثاراً فنية رائعة، ومذاهب فكرية ، مبتكرة، ومبادئ خلقية سامية، يتجلى فيها الإبداع بأقوى مظاهره.

لاشك أن للعوامل التاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والاجتماعية، تأثيراً فى تكوين الحضارات. ولكن هذه الأسباب لاتكفى لتفسير مانميزت به حضارة اليونان من قوة الابداع، والابتكار.

لقد غربل اليونانيون آثار الحضارات القديمة، ومحصوها أعمق تمحيص. فحذفوا منها ماحذفوا، واستبقوا منها مااستبقوا. ولكن حضارتهم ليست حصيلة الحضارات السابقة.وإنما هى حضارة متميزة،أطلقت حرية العقل، وجاوزت حدود الزمان

٦٥- انظر البيرونى، تاريخ الهند أو تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة،ص ٨٠،بيتصرف.

والمكان[٦٦]

ويذكر العلماء: أن الحضارة اليونانية،عرفت بأسم الحضارة الهيلينية، نسبة إلى « هيلين» الجد الأكبر الخرافى للشعب اليونانى. وقد انتشرت هذه الحضارة الهيلينية مع امتداد نفوذ الإغريق التجارى الاستعمارى، ولما فتح الإسكندر المقدونى الشرق امتزجت الثقافة اليونانية، بروح الشرق[٦٧]. فنشأت حضارة مزيجة عرفت بالهيلينية وأخصبت عدة مراكز فى الشرق . ولما جاء الإسلام وجد فى هذه المراكز، حضارة يونانية، فى الاسكندرية، وفى انطاكية وغيرهما. وكان لابد لهذه الحضارة الاغريقية أن تظهر على مسرح الوجود، عنواناً على حضارة هذه الأمة الآرية، التى علمت الإنسانية جمعاء، الكثير من أنماط الفكر وسياقاته..ولكن كان لها النسق الخاص بها، والخاص بها وحدها، المتصل ببيئة المجتمع اليونانى... ولذلك حين قام الإسلام بوضع فلسفته، المعبرة عن حضارته كان لابد من اختلاف عنيف ،ومن جدل قاس وتعارض فى المنهج،وفى المادة، بينه وبين الفلسفة اليونانية.[٦٨]

لقد سعى المسلمون إلى ترجمة العلوم الطبيعية اليونانية، آخذين إياها من مصادرها الشرقية فى البلاد التى فتحوها. فترجموا تراث اليونان فى الطب، والكيمياء، والهندسة، والرياضيات، والميكانيا« الحيل» ، والزراعة، والمناظر ، والحساب، والمنطق، وغيرها من العلوم الطبيعية والعلمية ، والتجريبية.

ولكن المسلمين زهدوا ، بل انصرفوا عن نقل الآداب اليونانية لأنها كانت وثنية تتحدث عن الآلهة وكيف كان يصارع بعضها بعضاً، وفيها فوق هذا كله تقائض البشر.

٦٦- الدكتور جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، ص ،ط . دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٨٦م.

٦٧- انظر: أنور الرفاعى، الإسلام فى حضارته ونظمه، ص٠٠٥٠.

٦٨- الدكتور على سامى النشار، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ١ص ١٠٢ ،ط دار المعارف بمصر ١٩٧٧م

فهناك ميادين فى المعتقدات، والانسانيات اليونانية، قد نفر منها المسلمون، فضربوا عنها صفحاً ولم يترجموها، ولا حتى للمتخصصين من العلماء، وذلك مثل عقائد الوثنية اليونانية، وأساطير آلهتها، وآداب اليونان وفنونها..[٦٩]

إذن استفاد المسلمون من الحضارة اليونانية فى حدود « قانون التفاعل الحضارى» الذى يميز دائماً وأبداً بين ما هو « خصوصية» وبين ماهو مشترك إنسانى عام».

وإذا كان الأمر- كما ذكرت - فلماذا أعطى المسلمون وزناً كبيراً، لفلسفة اليونان، ترجمة وشرحاً، حتى تضخمت آثارها، فى تراث المسلمين الحضارى. علماً بأن هذه الفلسفة اليونانية، لا تدخل فى قانون التفاعل الحضارى، ولاتناسب العقائد الإسلامية؟

إن الباحث بعمق، يجد أن المسلمين حين انفتحوا على الحضارة اليونانية، أخذوا منها مايتفق مع خصوصيتهم الحضارية. ثم واجهوا ماعند اليونان من النمط الهلينى، فى النظر والفكر والتى كانت « الغنوصية» أبرز مذاهبه فى نظريات المعرفة.

كانت « الهلينية» كما وجدها المسلمون فى البلاد التى فتحوها هى « اليونانية الشرقية» التى امتزج فيها الفكر الفلسفى اليونانى، بروحانية الشرق، ومع هذه « الهلينية» كانت أولى معارك الإسلام الفكرية. حيث أن المسلمين الذين أبدعوا علاقتيتهم الإسلامية، المتميزة. فأنشأوا علم الكلام الإسلامى، الممثل لفلسفة الإسلام المتميزة منذ النصف الثانى من القرن الهجرى الأول. ثم اتجهوا بعد ذلك إلى ترجمة الفلسفة اليونانية، وترجمة عقلائية أرسطوا أولا وبالتحديد. لا ليتخذوا منها فلسفة لهم وللإسلام، وإنما ليردوا بها كسلاح يونانى على الهلينية وثمرتها «الغنوصية».التى هى تأثيرات يونانية مزجت بباطنية الشرق، وروحانية الشرقيين.

٦٩- انظر : الدكتور محمد عمارة ،الغزو الفكرى وهم أم حقيقة، ص ٢١٢.

وأنصار الغنوصية. كانوا- كمتغربي هذا الزمان من أبناء الأمة الإسلامية- أثراً يونانياً في الشرق، وامتداداً شرقياً لفكرية اليونان. فعمد العلماء إلى ترجمة العقلانية اليونانية، ليردوا على أنصار اليونان. وكأنهم أرادوا أن يقولوا لهم :إذا كنتم تحترومون إلا ماهو وافد ،ومستورد، ويوناني الصنع. فهانحن نجابهكم بأرسطو. المعلم الأول عند اليونان، وأبرز عقولهم الفلسفية بإطلاق نجابهكم بالعقلية اليونانية نقضاً لغنوصية الافلاطونية المحدثة اليونانية، استخداماً للأسلحة التي تحترمون وتعظمون.[٧٠]

ولا يخفى أن هذه الرؤية العقلية، التي توضح سبب اهتمام المسلمين بالفلسفة اليونانية .تنهض الأدلة المختلفة لتأييدها في قوة.

فلقد كانت الهلينية، و« الغنوصية» الباطنية.هي تغريب ذلك العصر، والغزو الفكري الذي أصاب به الغرب اليوناني الشرق. منذ انتصار الاسكندر الأكبر «٣٥٦ق.م-٣٢٣ق.م». على الدولة الفارسية« ٣٣٣ق.م» وبنائه امبراطوريته الشرقية الأولى. فلما ظهر الإسلام خاضت ضده المعارك في البلاد التي فتحها المسلمون. لكن الإسلام، بعد أن بلور عقلانيته المتميزة. تقدم فاستعان بالعقلانية الأرسطية في نضاله ضد الهلينية والغنوص. فكانت ترجمة الفلسفة اليونانية، استعانة بحقيقة الفكر اليوناني على هزيمة صورته الشرقية المنهجية، وبسلاح معترف به من الغنوصيين.[٧١]

ويقول المستشرق الألماني بكر كارل هينرش ١٨٧٦-١٩٣٩: « إنا نرى كفاح المسيحية من أجل استقلالها، وتوكيد ذاتها. بإزاء الروح اليونانية المجسدة في « الغنوص» يتكرر من جديد في الإسلام في القرون الأولى تحت أسماء أخرى. فكما

٧٠- انظر: الدكتور محمد عمارة، الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ص ٢١٣ بتصرف.
٧١- المصدر السابق، ص ٢١٤.

كانت المسيحية الأولى معادية للروح الهلينية. كان الإسلام فى الصدر الأول على العموم معادياً هو الآخر للروح الهلينية. والميزة الرئيسية للقرآن هى أنه كان يؤثر تأثيراً مضاداً للروح الهلينية، فى عصر تغلغلت فيه الهلينية، وفى اللحظة التى تخطى فيها الإسلام حدود مهده الأول. بدأ الصراع والتصادم... إن المانوية والزرادشتية كانتا بالنسبة للإسلام عدوتين خطيرتين كالمسيحية. وإن « غنوص» المانوية، والمذاهب الشبيهة بها كانت خطرة على الإسلام خطراً مباشراً لذلك نرى أن أول مدرسة كلامية فى الإسلام. ونعنى بها المعتزلة قد استفادت بعضاً من أصولها، ومسائل بحثها عن طريق كفاحها ضد المانوية.

وفى كل هذه الألوان من الكفاح. تكونت جبهة كفاح فريدة فى بابها. فالدولة والمذهب الدينى الرسمى، يسيران هنا. كما يسيران فى كل مكان، جنباً إلى جنب ، وفى صف واحد. ولكنهما فى كفاحهما ضد « الغنوص» الذى لايعترف لأحد بسلطان. يهيبان بالروح اليونانية الحقيقية (الفلسفة اليونانية) كى تساعدهما.

لقد كان الغنوص، يحارب الإسلام دينياً وسياسياً.وفى هذا النضال استعان الإسلام بالفلسفة اليونانية وعنى بإيجاد من عالم من العلوم العقلية.

فكأن الإسلام قد تحالف إذاً مع التفكير اليونانى والفلسفة اليونانية ضد « الغنوص» والذى كان خليطاً من المذاهب القائمة على النظر والمنطق وعلى مذاهب الخلاص الباطنية.

ومن هنا نستطيع أن نفسر حماسة الخلفية المأمون للعمل على ترجمة أكبر عدد ممكن من مؤلفات الفلاسفة اليونانيين إلى العربية.

وقد اعتاد الناس أن يفسروا هذا حتى الآن بإرجاعه إلى ميل المأمون إلى العلم وحبه له. لكن إذا كانت الرغبة فى ترجمة كتب الأطباء القدماء، قد نشأت عما

اشتهرت به المدارس الطبية الكبرى من حاجة عملية إلى هذه الكتب فلعل ترجمة كتب ارسطوا أن تكون قد نشأت بالضرورة عن حاجة عملية كذلك. والا فأنه إذا كانت المسألة مسألة حماسة للعلم، ورغبة خالصة فى تحصيله فحسب. لكان« هو ميروس» أو أصحاب المآسى من بين من ترجمت كتبهم أيضاً. لكن الواقع هو أن الناس لم يحفلوا بها، ولم يشعروا بحاجة ماإليها ».[٧٢]

لقاء الحضارة الغربية بالحضارة الإسلامية

وإن الباحث فى انفتاح الغرب على الحضارة الإسلامية، يجد أن هذا الانفتاح، قد تحقق من خلال:

١- التراث الإسلامى فى صقلية :

ولا يخفى أن المسلمين قضوا فى حكم جزيرة صقلية قرابة ثلاثة قرون، وخلال ذلك كانت الحضارة الإسلامية مزدهرة ازدهاراً شد انتباه غير المسلمين. فلما استولى الأوربيون على جزيرة صقلية. استفادوا من الحضارة الإسلامية. «واستطاعوا أن ينقلوا إلى لغاتهم تراث المسلمين الحضارى المزدهر فى جزيرة صقلية. مما كان له أثر واضح فى النهضة الأوربية الحديثة.

٢- نقل التراث الإسلامى فى بلاد الأندلس :

إن المسلمين استطاعوا فى قوة أن يقيموا حضارة الإسلام فى بلاد الأندلس، وأصبحت بلاد الأندلس فى ظل الحكم الإسلامى، بلاد الحضارة والعلم. مما جعل علماء أوروبا يذهبون إليها ليتعلموا العلم على يد علمائها، ويترجمون تراثها من العربية إلى اللاتينية.

٧٢- بكر كارل هينرش، التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية،ص ٧ ـ ٩، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ،ط. القاهرة ١٩٦٥م.

لقد كانت قرطبة فى عهد عبد الرحمن الثانى، مركزاً رائعاً للجمال المادى والنشاط الفكرى... وما ذلك فى عهد عبد الرحمن الثالث. وكان شديد العناية بالعلوم والآداب، وتزايدت هذه النهضة فى عهد ابن الحكم الثانى الذى كان إلى جانب علمه يرسل مندوبين إلى جميع بقاع العالم الإسلامى لابتياع الكتب أو استنساخها. ووفق بذلك إلى إنشاء مكتبة تضم أربعمائة ألف كتاب.

وإذا كانت قرطبة، وغرناطة وغيرهما من مدن حضارية قد سقطت فى أيدى غير المسلمين فإن العلوم والآداب الإسلامية والحضارة واصلت ازدهارها فى ظل النقل والترجمة، والابداع.

٣- نقل التراث الإسلامى أثناء الحروب الصليبية:

كانت الحروب الصليبية صراعاً بين الكنيسة والشرق الإسلامى. وهدف هذه الحروب تخليص الأراضى المقدسة من المسلمين، وقد استمرت قرنين من الزمان. ومن المؤرخين من يرى أن هذه الحروب هى العامل الرحيد فى تقدم أوربا. حيث تم نقل الصناعات والفنون الإسلامية، ويرى بعض العلماء : أن الشرق الإسلامى قد أثر فى الغرب المسيحى إبان الحروب الصليبية من أربع نواحى هى :

١- فى الكنسية البابوية. إذ قامت فى بيت المقدس عام ١١٠٠م مملكة دنيوية بدلا من « التيوقراطية » الدينية التى كان يحلم بها البابا.

٢- كما أثرت الحروب فى الحياة الداخلية والاقتصادية، فى جميع الممالك.إذ نشأ نوع جديد من الضرائب على ممتلكات الأشخاص. كما ساعدت تلك الحروب على الإقلال من أراضى الأشراف.

٣- كما أثرت الحروب فى العلاقات الخارجية للدول الخارجية ونظام أوربا ،بتأثيرها فى الكنيسة من ناحية ،وبايجاد رابطة جديدة للوحدة الأوربية.

٤- كما أثرت تلك الحروب فى العلاقات القائمة بين أروبا وآسيا. فنهضت حركة الارتياد والرغبة فى الاستزادة من المعلومات.[٧٣]

لقد اختلط الأوروبيون بمن هم أرقى منهم فاستفادوا من الحضارة الإسلامية فساعد هذا على قيام النهضة الأروبية الحديثة.

إن أروبا استطاعت أن تتفاعل مع الحضارة الإسلامية، وتأخذ عنها، وتستفيد منها. فيما هو « مشترك انسانى» عام» أما ما كان من خصوصية للحضارة الإسلامية. فقد رفضها الغرب.

لقد أقبل الغرب بنهم على امتلاك رصيد الحضارة الإسلامية من العلوم الطبيعية: علوم المادة وظواهرها وخصائصها.. وعلوم التمدن المدنى والعلمى، مثل علوم الطب، والصيدلة، وقواعد النظافة العامة والخاصة، وعلوم الزراعة، والنباتات، والحيوان، وفنون وعلوم الحرف والصناعات، والتجارة، والمواصلات، ووسائل الاتصال، وفنون القتال، و استخدامات الحرب، وطبقات الأرض وأنواعها. والمعادن، البصريات، والمناظر، والكيمياء، والفلك، والرياضيات، من جبر وهندسة وحساب ، والجغرافيا، والرحلات، وعلوم البحار، والملاحة فيها.. وغير ذلك من علوم وفنون.[٧٤]

لقد أخذ الغرب ، ما سبق أن أخذناه نحن، عن أسلافهم اليونان، وغيرهم من الفرس والهنود وما أخذناه من مدرسة الاسكندرية من علوم الصنعة. مضافاً إليه ابداع المسلمين.

لقد أخذ الغرب ، من الحضارة الإسلامية، ماهو « مشترك إنسانى عام» وترك من الحضارة الإسلامية، ماهو خصوصية حضارية إسلامية.

٧٣- انظر الدكتور توفيق الطويل، الحضارة الأسلامية والحضارة الأروبية،ص ٨٦٧ ، ١٦٨، بتصرف.

٧٤- انظر: الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة،ص ٢٤٨.

« لقد أجتمعت تيارات فكر النهضة الغربية على رفض أبرز خصائص الحضارة الإسلامية. وهى خصيصة « التوحيد » وخصيصة « الوسطية » وخصائص أخرى كثيرة تتصل بالإسلام، وعقائده.

ورفض الغرب لهذه الخصائص الإسلامية. هو الذى ميز الحضارة الغربية بطابعها الأصيل: الطابع المادى.

- فالحضارة الإسلامية قامت بعملية « توفيق» مابين الحكمة والشريعة، ولكن الحضارة الغربية تميزت بإخراج الدين من اطار العقل، كما أخرجت الدنيا والدولة وعلوم التمدن من اطار الدين.

- والحضارة الإسلامية ربطت بين الدين والدولة، والحاكم والمحكوم، والحضارة الغربية فصلت بين الدين والدولة فى خصوصية حضارية فكانت العلمانية.

- الحضارة الاسلامية وقفت بين الفرد والمجموع فى ربط متناسق، أما الحضارة الغربية فقد انحازت للفرد فى « ليبيرالية» واضحة.

- الحضارة الإسلامية ربطت الأعمال بالحكمة منها. والوسائل باخلاقيات الغايات المبتغاة من ورائها. أما الحضارة الغربية، فكان اهتمامها قائماً على اللذة والشهرة واللحظة. وكانت سياسة الحضارة الغربية تعنى « بالميكيافيلية» « فن الممكن من الواقع بصرف النظر عن الأخلاق .

- الحضارة الإسلامية وازنت بين سيادة الله وحاكميته، وبين سلطان الأمة وسلطاتها، فى حين كانت الحضارة الغربية، تقوم على أن الإنسان سيد الكون يفعل مايشاء.[٧٥]

٧٥- انظر الدكتور محمد عمارة ، الغزو الفكرى وهم أم حقيقة،ص ٢٤٩- ٢٥٠، بتصرف.

إذن وبكل تأكيد : هناك ماهو « مشترك إنسانى عام» تأخذه الحضارات من بعضها وتساهم فيه كل حضارة بالعطاء المتجدد، الذى يزيده قوة وفائدة.

وهناك ماهو خصوصية حضارية. لا تقبل الحضارات الآخذة. أن يكون ضمن المأخوذ. ونجد ذلك واضحاً فى أعمال أوربا الناهضة، فحينما ترجمت أعمال الفيلسوف المسلم ابن رشد أخذت من هذه الأعمال مايتصل بالفلسفة اليونانية، ورفضت أخذ ماهو خصوصية حضارية إسلامية.

فالرشدية اللاتينية التى أخذتها أوربا هى شروح ابن رشد على أرسطو حكيم اليونان، أما إبداع ابن رشد الفيلسوف المسلم والمتكلم والقاضى والفقيه والذى تمثل فى مؤلفاته:« فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» و« تهافت التهافت»و«مناهج الأدلة» ، فقد رفضته أوربا رفضاً تاماً.

ويقول الفريد جيوم: « إن علينا أن نضع حداً فاصلاً بين ابن رشد كفيلسوف وابن رشد كشارح لأرسطو».[٧٦]

وإذا كانت الحضارة الغربية قد رفضت منذ البداية الرشدية الإسلامية، كما تمثلت فى مؤلفات ابن رشد الابداعية، فإن الحضارة الغربية، قد رفضت أيضاً اضافات ابن رشد التى تخللت شروحه على أعمال أرسطو. ونهض بهذه المهمة القديس« توماس الأكوينى» (١٢٢٥-١٢٧٤م) ولذا نرى الجامعات الغربية تتبنى أرسطو فى ذات الوقت الذى تحرم فيه فكر ابن رشد، وتحكم بالكفر على مائتين وتسع عشرة مسألة تمثل إضافات ابن رشد على الشروح التى قدمها لأعمال حكيم اليونان.[٧٧]

ومما لايحتاج إلى بيان أنه كلما استلهمت الحضارات « ماهو مشترك إنسانى عام» تقدمت الحضارات واستفادت وازدهرت ، وانتشر الأمن.

٧٦- الفريد جيوم، الفلسفة وعلم الكلام،ص ٣٩٤، بحث منشور ضمن كتاب تراث الإسلام.

٧٧-المصدر السابق ،ص ٣٦٠، ٣٩٤.

التفاعل الحضارى

والتفاعل الحضارى ضرورة إنسانية، لابد منها لقيام الحضارات، وتقدم الإنسان فى كل مامن شأنه أن يأخذ بيد الإنسان، ويشيع فى المجتمعات الإنسانية السلام والأمن.

أما الانغلاق الحضارى، فهو قاتل للإنسان. والتبعية الحضارية هى الأخرى قاتلة لكل ابداع. ولا بدمن حوار الحضارات.

وإذا تأملنا فى حال الأمة الإسلامية وجدنا أنها- من وجهة نظرنا- محاصرة بين غربتين: غربة زمان ، وغربة مكان.

أما غربة الزمان. فهى بعد الأمة عن ماضى حضارى مشرق، لم تعد تربطها به عوامل الثقافة الفاعلة أو البانية.

وأما غربة المكان. فهى بعد الأمة عن واقع حضارى معاصر، تجهل عنه كل شئ. مما مثل فجوات حضارية كبرى . ليس من السهل على الأمة الإسلامية تجاوزها أو تجاهلها.

ولذلك إذا كان لابد لهذه الأمة، أن تعود إلى التفاعل الحضارى، وتستفيد من حضارات الإنسانية. كان لابد من خروج الأمة الإسلامية، من الاغتراب الزمانى والاغتراب المكانى، وذلك بالربط بين الواقع والثوابت فى الحضارة الإسلامية، وبين مصادر وعوامل التقدم المعاصر.

وليس هناك من وسيلة للربط غير الدين، والعلم، والحياة. فى إطار من حرية الفكر، وسياسة عقلانية للتقدم، وتسامح مستنير.[٧٨] فإن فعلت الأمة ذلك. كان ذلك بداية فى طريق حضارى.

٧٨- الدكتور محمود قمبر، هدفية العلم فى الإسلام، مجلة حولية كلية التربية، عدد رقم ٨ص ٦٣، سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م كلية التربية ، جامعة قطر.

وإن التقدم البشرى فى مختلف المراحل والمجالات ليس إلا حصيلة الابداع الفكرى والتعاون، والاحتكاك بين المجتمعات.

ولاعيب أن نأخذ من حضارات الأمم ما يفيدنا. ولكن العيب أن تظل عالة على أمم الأرض نأخذ منها ولا نعطى..

ويجدر أن ندرك أن الانغلاق ليس بالموقف اللائق بالعقلاء، ولا التبعية الحضارية بمفيدة. أو ملائمة لمن يمتلكون خصوصية حضارية إسلامية.

والعزلة الحضارية والجهل صنوان. كلاهما تخلف. وكلاهما حجاب يمنع وصول الضوء وكلاهما عقبة كأداء فى طريق التطور والتقدم.

ويكاد يكون مؤكداً. أنه لاتوجد حضارة قامت بذاتها، واكتفت بذاتها مستغنية عن غيرها. وإنما هى نتيجة تطور حضارى دائم وتفاعل بين حضارات أخرى تفاعلت هى بدورها وغيرها من الحضارات فى الزمان والمكان.

والنمو الحضارى إنما يعتمد على التجارب الحضارية الأخرى. وكلما ازدادت فرص الإلتقاء والتفاعل بين الحضارات ازدادت فرص الحياة والنمو والاكتساب والتعلم.

والأمة الإسلامية وهى تتطلع إلى مستقبل مشرق.لابد وأن تخوض معركة بناء الذات وتجديدها. مسوقة بقيم وأفكار ومواريث لها فى وعيها فاعليتها القوية.

ولا يخفى أن الأمة الأسلامية تملك رصيداً ضخماً من القيم الهادفة وتوجيهات الإسلام، وهذه القيم كفيلة عند استثمارها بأن تجعل الأمة الإسلامية فى وضع يسمح لها بأن تنمى فلسفتها الحضارية الإنسانية، وتتسابق مع أمم الأرض فى بناء حضارة إنسانية، ومما هو معروف أنه ليس كل عمل يصدر من الإنسان يسهم فى الحضارة الإنسانية. وإنما ذلك العمل الذى ينمى الحضارة ، وينطلق من الأنسان للإنسان.

المصادر والمراجع

١- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد. المقدمة،ط. بيروت.

٢- ابن رشد : محمد أبو الوليد. فصل المقال،ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٣- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد. لسان العرب ،ط. دار لسان العرب،بيروت.

٤- اشفيستسر: البرت. فلسفة الحضارة، ط .الاندلس،بيروت، ١٤٠٠هـ.

٥- باستيد: جورج. كتاب المدينة،ترجمة عادل العوا،ط. دمشق.

٦- بدوى الدكتور عبد الرحمن.دور العرب فى تكوين الأروبى،ط .بيروت، ١٩٤٠م.

٧- البيرونى : محمد . تاريخ الهند أو تحقيق ماللهند من مقوله مقبولة فى العقل أو مرذولة،ط بيروت.

٨- جيوم : الفريد. الفلسفة وعلم الكلام،بحث منشور ضمن كتاب تراث الإسلام،ط. الكويت.

٩- حمادة: حسين . الحوار القرآنى، مجلة المعارج ،م١ع٨،بيروت ١٤١٢هـ.

١٠- حوى : سعيد. الأساس فى التفسير،ط.دار السلام، القاهرة، ١٤٠٥هـ.

١١- الرفاعى: أنور الإسلام فى حضارته ونظمه،ط. دار الفكر، بيروت ١٣٩٣ هـ.

١٢- زقزوق : الدكتور محمود حمدى. دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى،ط. مكتبة وهبة بالقاهرة.

١٣- السايح : الدكتور أحمد عبد الرحيم . أضواء على الحضارة الإسلامية،ط .دار

اللواء، لاسعودية ١٤٠١هـ.

١٤- الشكعة : الدكتور مصطفى . معالم الحضارة الإسلامية،ط. دار العلم للملايين، بيروت.

١٥- صليبيا: الدكتور جميل تاريخ الفلسفة العربية، ط. دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٦م.

١٦- طرزى : فيليب. خزائن الكتب فى الخافقين، ط. بيروت.

١٧- الطويل : الدكتور توفيق الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية،ط. مكتبة التراث الإسلامى مصر ١٩٩٠ م.

١٨- عثمان : الدكتور محمد فتحى. القيم الحضارية فى رسالة الإسلام،ط. الدار السعودية ١٤٠٢هـ.

١٩- عصفور: الدكتور محمد أبو المحاسن. معالم احضارات الشرق الأدنى القديم، ط. دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩ م.

٢٠ عمارة : الدكتور محمد ، تيارات الفكر الإسلامى، ط. دار المستقبل العربى، القاهرة، ١٩٨٣م.

٢١- عمارة : الدكتور محمد. الغزو الفكرى وهم أم حقيقة، ط. الأزهر ١٩٨٠م.

٢٢- فروخ: الدكتور عمر. الفكر العرى ،ط. دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦م.

٢٣- قطب : سيد معالم فى الطريق، ط. بيروت

٢٤- قمير : الدكتور محمود. هدفية العلم فى الإسلام، حولية كلية التربية، جامعة التربية، جامعة قطر، عدد رقم ٨ ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٢٥- محمد : الدكتور ماهر عبد القادر. المشكاة، مجموعة مقالات فى الفلسفة والعلوم الإنسانية، ط. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٥م.

٢٦- مرحبا: الدكتور محمد عبد الرحمن. أصالة الفكر العربى، ط منشورات عويدات، ١٩٨٢م.بيروت ، فرنسا.

٢٧- مدكور : الدكتور على أحمد . الثقافة والحضارة فى التصور الإسلامى، مجلة الدارة س ١٤ ع٤ السعودية، ١٤٠٩هـ.

٢٨- الميدانى: عبد الرحمن حسن حبنكه . أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها،ط. القلم، دمشق ١٤٠٠هـ.

٢٩- النشار : الدكتور على سامى. نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، ط دار المعارف بمصر ١٩٧٧م.

٣٠- هينرش : بكر كارل . التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ،.ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى،ط. القاهرة، ١٩٦٥م.

الدكتور احمد عبد الرحيم السايح

استاذ العقيدة والفلسفة